جامعة بنغازي
مجلة العلوم والدراسات الإنسانية – المرج
مجلة علمية الكترونية محكمة
رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014
ISSN : 2312 – 4962

الخريطة السكانية لإقليم برقة 642-1171م

د. سعيد جمعة حماد

(قسم الآثار الإسلامية - كلية السياحة والآثار – سوسة - جامعة عمر المختار- البيضاء – ليبيا)

الملخص :

سكنت إقليم برقة قبائل كثيرة من البربر ذكر منها المؤرخين كاليعقوبي مثلاَ (هراوة، مغاغة ولواتة ومسوسة وغيرها) أي أن إقليم برقة كان بلدا غير عربي بل كان خليطا إغريقياً رومانياً ، بربريا ، إلى أن جاء عام 642 م ، فبدأ هذا الإقليم بالتحول شيئا فشيئا ، إلى أن وصل إلى صورته النهائية التي صبغته إلى يومنا هذا ، فأصبح بلداَ عربياَ من حيث الأصل واللغة، متأثراَ بعدة عوامل ، لعل أهمها هجرة أعداد ليست قليلة من القبائل العربية إلى إقليم برقة، واستقرار قبائل أخرى كانت قد شاركت في مسيرة الفتوحات الإسلامية للمغرب ، وكان لها دور كبير في تغيير ملامح المجتمع في إقليم برقة ، غير أن ما ذكرناه عن هذه الهجرات وعن كونها هي من ساهم في تغيير التركيبة الاجتماعية في إقليم برقة وفي المغرب بكامله يعد أمراَ مسلماَ به عند اغلب المؤرخين المسلمين وغيرهم ، ولكن لابد من أن هناك عوامل أخرى ساعدت هذه القبائل المهاجرة على الاستقرار ، بالرغم من انه مر بنا سابقا أن هذه المناطق شهدت أوضاعاً سياسية غير مستقرة في اغلب الفترات؟ فكيف أذن استطاعت هذه القبائل البقاء في إقليم برقة ؟ مع علمنا التام وحسبما أوردنا من معلومات أن وضع الإقليم السياسي والاقتصادي كان سيئا وكان عاملا طارداَ لا يساعد على الاستقرار ,وبالتالي فأنه يجب البحث عن سبب منطقي لتحول الإقليم إلى بلد عربي وانتهاء صفة البربرية فيه؟

Abstract

According to Alyakobey and other historians, many barbarian tribes such as (Harawah, Magaga,Lawatah, Masosah and others) lived in Cyrenaica region which implies that the region was not an Arab country. In contrary, the region was a mixture of Greeks, Romans, and barbarians until 642 AD. Since that, the region started to turn slowly until it reached its final form known today and became an Arab country in term of both origin and language. The transformation of the region was a result of various factors. Most notable factors are the migration of many Arabian tribes and the settlement of other tribes which participated in the march of the Islamic conquests of Morocco. Those tribes had a big role in changing the social characteristics in the Cyrenaica region. What we have stated before about the migrated tribes and their role in reforming the social structure in the Cyrenaica region and Morocco as a whole is undisputed by most Islamic and other historians, however there must be other factors that helped the migrated tribes to settle in the region even that the region had faced unstable political and economical situations. So how did these tribes stay in Cyrenaica region? With full knowledge and according to the included information, the political and economic situation in the region was bad and was not conducive to stability and therefore we must find a logical reason for the transformation of the region to an Arab country and the end of its barbarian characteristics.

جامعة بنــغازي
مجلة العلوم والدراسات الإنسانية – المرج
مجلة علمية الكترونية محكمة
رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014 ISSN : 2312 – 4962



- المقدمة:

لا تزال قضية استقرار العرب المسلمين بالأراضي المغربية وما تبعه بالطبع من انتشار اللغة العربية في هذا الإقليم تفرض نفسها بإلحاح على الباحثين والدارسين رغم ما ظهر حتى الآن من كتب ودراسات وأبحاث لها أهميتها وقيمتها. وتأسيساً على كل ما تقدم أصبح من المعلوم لدينا أن إقليم برقة كان خليطاً من الرومان والبربر والوندال والإغريق كما كانت ترزح تحت حكم هذه القوى المستعمرة سنين طويلة ، التي أنهكتها وأضعفت من قدرتها في لعب دور في مسيرة الحضارة كغيرها من المناطق ، حتى وأن شهدت في كثير من الأوقات نوعاً من الاستقرار سمح لها بالبروز في مجالات عديدة ، إلا أنها ظلت في نظر مستعمريها عبارة عن أراضي تأتي بالدخل المادي سواء من خلال ما فرض على أهلها من ضرائب أو ما أستنزف من ثرواتها، ولا يزال أمامنا في هذا الجزء الحديث عن كيفية تحول هذه المناطق وبالأخص إقليم برقة بعد مجيء الإسلام إليه عام 642م أي بعد ثماني سنوات من تحركه خارج الجزيرة، وكان ذلك إيذاناً ببدء عملية حيوية كبرى اعتملت في صميم المجتمع البرقاوي، وأسفرت أول ما أسفرت خلال القرون الثلاثة التالية عن ميلاد برقة الجديدة، إذ غير إقليم برقة خلال هذه الفترة لغته لأول مرة في تاريخه الطويل، وغير دينه لثاني مرة، ولم يتم هذا التغيير قهراً بالسوط أو بالسيف، ولا حتى بإصدار القوانين من الدولة، وإنما ترك يتم بطريقة طبيعية بطيئة طويلة نتيجة للاتصال التدريجي والاختلاط المتزايد بين العرب وأهل البلاد من البربر، حيث بدأ هذا الإقليم بالتحول شيئاً فشيئاً، من الحكم الروماني البيزنطي إلى الحكم العربي، ومن الدين المسيحي إلى الدين الإسلامي، ومن اللغة اللاتينية إلى اللغة العربية، وفي عبارة وجيزة من الحضارة الإغريقية الرومانية إلى الحضارة الإسلامية، إلى أن وصل إلى صورته النهائية التي صبغته إلى يومنا هذا، فأصبح بلداً عربياً من حيث الأصل واللغة والحضارة متأثراً بكل تأكيد بعدة عوامل، أدت إلى انتشار اللغة العربية بأساليب ووسائل سنبينها من خلال هذه الدراسة، بالإضافة إلى هجرة أعداد ليست قليلة من القبائل العربية إلى إقليم برقة والمغرب في الفترة الأولى من الفتوحات، واستقرار قبائل أخرى كانت قد شاركت في مسيرة الفتوحات الإسلامية للمغرب، حيث انتشرت هذه القبائل انتشاراً جغرافياً واسعاً، فكانت في الحقيقة من أوسع الهجرات في التاريخ، فلا تقل اتساعاً عن هجرات الإغريق إلى الشرق الأدنى وبلاد البحر المتوسط، ولكنها كانت ابقى أثراً فهي التي صنعت عروبة تلك البلاد المستمرة حتى اليوم، ذلك أن العرب لم يعيشوا كالإغريق في مدنهم أرستقراطية متعالية تعيش لنفسها في حياة اجتماعية وثقافية مغلقة، أنما خالط العرب الشعوب التي عاشوا بينها واخذوا منها وأعطوها، ولهذا أطلق على الفتوحات الإسلامية الفتوحات البشرية لأنها كسبت للعروبة أرضاً جديدة.

وهو موضوع مهم في تاريخ الحياة الاجتماعية في إقليم برقة وكان له دور كبير في تغيير ملامح مجتمع إقليم برقة ,ولكن أخباره قليلة ومتناثرة والمؤرخين الذين عرضوا لهذا الموضوع لم يعرضوا له من نواحيه الاجتماعية والبشرية، بل قد لا نجد من عرض لمثل هذا الموضوع إلا بصورة جزئية في الحديث عن تاريخ بلد من البلدان، غير أن ما ذكرناه عن هذه الهجرات وعن كونها هي من ساهم في تغيير التركيبة الاجتماعية في إقليم برقة وفي المغرب بكامله يعد أمراً مسلماً به عند اغلب المؤرخين المسلمين وغيرهم، ولكن لابد من معرفة الأساليب التي اتبعتها هذه القبائل الوافدة لكي تستقر في إقليم برقة الذي كان يشهد أوضاعاً سياسية غير مستقرة في اغلب الفترات، بالإضافة إلى وضع الإقليم الاقتصادي السيئ الذي كان عاملا طاردا لا يساعد على الاستقرار؟ فكيف أذن استطاعت هذه القبائل البقاء في إقليم برقة؟ فهل استولت بالقوة على مواقع القبائل البربرية؟ أم أن البربر هم من ترك بلادهم؟ وبالتالي فانه يجب البحث عن سبب منطقي لتحول الإقليم إلى بلد عربي وانتهاء صفة البربرية فيه؟


جامعة بنغازي
مجلة العلوم والدراسات الإنسانية – المرج
مجلة علمية الكترونية محكمة
رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014


ISSN : 2312 – 4962

- الهجرات العربية ودورها في تحول مجتمع إقليم برقة:

لم يكن لوصول العرب إلى إقليم برقة في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، أثر واضح على تشكيل الخريطة السكانية في إقليم برقة، وذلك لقلة أعدادهم، ثم أنهم تركزوا على السواحل وفي المدن كجند الفتح ومن جاء بعدهم، وقد ذكر اليعقوبي هذه القبائل ووصف أماكن تواجدها داخل إقليم برقة فذكر قبيلة " بلى " القحطانية وقبائل بني مدلج، وجهينة , وكانت هذه القبائل قد اشتركت مع جيش عمرو بن العاص في فتح الإقليم عام 642 م , وانتقل كثير من أفراد هذه القبائل إلى الرمادة التي تعد من أراضي قبيلة مزاته البربرية ويسكنها غيرهم من العجم، واستقروا فيها، وقد استقر بالجبل الشرقي من مدينة برقة "الجبل الأخضر" قبائل غنث وميدعان القحطانية , وقبيلة جذام , والكثير من عرب اليمن , بينما سكن الجبل الغربي من برقة قوم من عرب غسان وتجيب وقد كان سبب مجيء هذه القبائل إلى إقليم برقة اشتراكها في الحملات التي وجهتها الدولة الإسلامية في عهد عبد الله بن سعد[1]

هذه جل القبائل العربية التي ورد ذكرها عند أغلب المؤرخين , والتي لم تشر مصادرهم إلى أعداد محددة لها , غير انه من الواضح انه لم تكن ذات أثر واضح خاصة في فترات الفتح الأولى , لأننا لم نجد ذكراً لأي صراعات كانت قد حصلت بين الوافدين الجدد وبين أهل البلاد الأصليين على الأقل خلال هذه الفترة , كما أن توزيعها على خارطة إقليم برقة ومناطقه بالنسبة للعنصر المحلي ,يوضح أن العنصر البربري غالب على العنصر العربي في هذه الفترة ,غير انه بالرغم من قلة أعدادهم إلا أنهم استطاعوا الاختلاط والتأقلم مع القبائل المحلية وهذا ما يفسر تواجدهم حتى بعد هذا العصر , ولا نستطيع إنكار أن إقليم برقة كان من أول البلاد استعرابا , وهذا طبيعي بحكم ظروف الفتح الإسلامي للمغرب , إذ أن الفتح كان يبدأ من برقة أي من الحدود الشرقية المتاخمة لحدود مصر الغربية.

وعلى الرغم من قلة انتشار العرب إلا أننا نجد أن بعض القبائل المحلية من مزاته النازلين بين سرت و ودان انتموا إلى العرب اليمنية وجعلوا أنفسهم في حكم العرب , وهو ما يفسر أن العادات والتقاليد العربية قد لقيت قبولاً حسناً وإعجاباً لدى السكان المحليين , وان الإسلام لم يتغلغل في الواحات الليبية والمصرية فحسب , بل انتقل عن طريقها بواسطة القوافل العابرة بها إلى أفريقيا الوسطى , ورافق انتشار الإسلام , انتشار اللغة و العادات والتقاليد العربية .

هذا وقد احتفظ العرب بنظامهم القبلي الذي درجوا عليه في بلادهم ونقلوه إلى البلاد التي فتحوها , وأهم سمات هذا النظام هي العصبية القبلية مما أدى إلى العديد من التحالفات بين القبائل التي استقرت إلى الشرق من مدينة برقة .

ولكن نحن إلى الأن لم نصل إلى تحول عروبي كامل لإقليم برقة فجل ما ذكر من قبائل لا نستطيع اعتبارها عاملاً قوياً في تحول مجتمع إقليم برقة , حتى وان كانت عاملاً قد يكون ساعد على ذلك وان تعرب أو تعريب هذا الإقليم يحتاج إلى تحول ديموغرافي جذري والى هجرة كبيرة , والى عوامل طبيعية وسياسية ذات اثر واضح تسمح باستقرار العرب في الإقليم على حساب سكان البلاد الأصليين ؟ ولعلنا نجد ضالتنا في هجرة قبائل بني هلال بني سليم , والتي اجتاحت المغرب الأدنى في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي وكان لها دور كبير في انتشار العرب في بلدان المغرب والمناطق المجاورة حينها وعرفت في التاريخ

[1] اليعقوبي, أحمد بن يعقوب(1960): معجم البلدان, دار الكتاب, بيروت, ص.343.

باسم (هجرة بني هلال) وعلى الرغم من أننا لا نعرف أصل هذه التسمية نظراً لان الهجرة الهلالية كانت قد ضمت قبائل عدنانية هلالية وغير هلالية , وقبائل قحطانية أيضاً . إلا أن الواضح إن بني هلال قد ترأسوا زعامة كل هذه المجموعات المهاجرة.[2]

وقد كانت قبائل بني هلال مستقرة في مصر في عهد المستنصر بالله عام 437 هـ، وقد رأى الفاطميون ضرورة التخلص منهم لأنهم كانوا سبباً في كثير من الفتن والاضطرابات, بالإضافة إلى ما كانت تعانيه الدولة الفاطمية من أزمات اقتصادية وصلت إلى حد المجاعة في القرن الرابع الهجري.[3] كما أن هذه الأزمة أثرت أيضاً في قبائل بني هلال ودعتها إلى التفكير في البحث عن مناطق استقرار أفضل فاختارت الحضر ليكون منقذاً لها على حد قول ابن خلدون. ولاسيما أن هناك جماعات من عرب بني هلال كانت قد استقرت منذ مدة طويلة في إقليم برقة , وهم بنو قرة , ,وكان لهذه القبيلة نفوذ قوي بإقليم برقة في عهد الحاكم بأمر الله الفاطمي411-386) هجري 1020-996/م.[4] وقد ناصبت الصنهاجيين والفاطميين العداء , وحاولت الاستقلال بالحكم في إقليم برقة .

وشهد عام388 هجري/ 998م ,بداية خروج برقة عن طاعة الفاطميين , حين رفض بنو قرة طلباً من الحاكم بأمر الله يفيد القضاء على القائد يانس حاكم طرابلس , ولكنهم رفضوا, وكردة فعل لم يغفر لهم الحاكم هذا التصرف وأستدعى عدد من مشايخهم وقتلهم وكان هذا سبباً في بداية سيطرتهم على إقليم برقة بقيادة أبو ركوة عام 395 هجري /1004 م ممثلين في قبائل بني قرة ولواته وزناته .[5]

ضرب أبو ركوة حصاراً على المدينة نفسها غير أنه لم يستطع دخولها لمناعة أسوارها ودفاع واليها" صندال الأسود" وحاميته , كم أن جزء من لواته تحرك لمحاربة أبو ركوة ونجدة أهل برقة ويبدو أن تلك الأنباء وصلت إلى أبي ركوة في وقت مبكر فأسرع لمقاتلتهم وهزمهم عند موضع يسمى" أسقفه "وهرب من بقي منهم إلى شعب الجبال.[6]

رجع أبى ركوة إلى برقة بعد أن قمع حركة قبيلة لواته واستمر في حصارها وضيق على أهلها لمدة خمسة أشهر فقرر الحاكم بأمر الله أن ينجد واليه على برقة فأرسل إليه حملة بقيادة القائد اينال التركي. فرفع أبو ركوة حصاره عن مدينة برقة , ولكن النتيجة لم تكن كما يتمناه الخليفة الفاطمي إذ انهزم الجيش الفاطمي الذي أنهكه الجهد والعطش وعاد إلى مصر بعد أن ترك قائدة" اينال "قتيلاً في ارض المعركة وقوى هذا النصر من شان أبو ركوة واستفحل أمره وأصبح خطرا يهدد مصر نفسها إذ بدأ يكاتب بعض قواد القاهرة مثل الحسين بن جوهر – كما يروي ابن الأثير.[7] وهنا رأى الحاكم أن يستعمل معه الحيلة بعد أن فشلت القوة , فتقول رواية ابن عذاري[8] التي تؤيد رواية ابن الأثير بشكل غير مباشر انه أمر بعض كبار رجال الدولة لمكاتبه الوليد أبو ركوة وإغرائه بدخول مصر ووعده بالمساعدة أو الانضمام لجانبه . وبالفعل وقع الثائر في الفخ الذي نصب له فدخل مصر وترددت سراياه إلى الصعيد حيث فاجأته قوات الحاكم ومن معه وألحقت بهم هزيمة نكراء ففر نحو النوبة وهناك اخذ أسيراً وحمل إلى القاهرة وقتل منتصف شوال سنة397 هـ/ يوليو1007 م.[9] وهكذا قضى على ثورة أبو ركوة

---

2 ابن خلدون, عبد الرحمن بن محمد (1981) العبر وديوان المبتدأ والخبر, دار الفكر, بيروت, ج6, ص 38.
3 ابن خلدون, المصدر نفسه, ج2, ص 26
4 ابن خلدون ,العبر وديوان المبتدأ والخبر بر ,ج,2 ص644.
5 التجاني (1918)رحلة التجاني ,الدار العربية للكتب ,تون, ,ص,182
6 يحي بن سعيد '(1908) تكملة تاريخ سعيد بن بطريق, بيروت ص188,
7 ابن الأثير ,علي بن محمد الشابي (1950) الكامل في التاريخ , 'دار صادر ,بيروت , ج,9 ص,84
8 ابن عذاري , ,أبو عبد الله محمد المراكشي ,(1950) البيان المغرب , دار صادر , بيروت , ج1 , ص370
9 ابن عذاري , المصدر نفسه'ص,371.

جامعة بنغازي
مجلة العلوم والدراسات الإنسانية – المرج
مجلة علمية الكترونية محكمة



رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014 ISSN : 2312 – 4962

في برقة بسبب تهوره الذي لم يعرف حدود مقدرته وأراد أن يحقق في بضع سنوات ما حققه الفاطميون بعد ثمانون عاماً من الدعاية الواسعة والكفاح المرير.

ولكن برقة ظلت خالية منأى شكل من أشكال الحكم المباشر للفاطميين حتى بعد القضاء على حركة أبي ركوة حيث حكمها عدد من زعماء قبيلة بني قرة والذين تفاوتت درجة ولائهم للفاطميين.

وتختلف الآراء حول المعاملة التي عامل بها الفاطميون بني قرة بعد إخماد ثورة أبي ركوة لاسيما وأنهم كانوا داعمين له ضد الفاطميين فابن خلدون[10] يورد خبرين متناقضين عن موقف الحاكم بأمر الله فالأول يذكر فيهبانه عفا عنهم أما في الثاني فيذكر أن الحاكم أرسل إلى بعض مشايخ بني قرة بالأمان للمجيء إلى القاهرة.

وفي تناقض الخبرين يذكر إحسان عباس[11] سبب تناقضهما فيقول أنهما وقعا في زمنين متباعدين , غير أننا نرى كذلك أن عفو الحاكم عن بني قرة كان بسبب الجهود التي بذلها الشيخ "ماضي بن مقرب" في إقناع قبيلته بعدم نصرة أبي ركوة, غير انه يبدو أن جزء من بني قرة لم يكن راضياً عن الفاطميين بسبب ما قام به هؤلاء من قتل لبعض زعمائهم ويضيف المقريزي "أن الرغبة في السلب والنهب كانت جامحة لدى هؤلاء الأعراب ولاسيما بعد أن خابت آمالهم بعد هزيمة أبي ركوة إذ استولوا سنة 402هـ - 1011م على هدية أرسلها باديس بن المنصور إلى الحاكم ولم يكتفوا بهذا بل زحفوا على برقة ففر واليها عن طريق البحر إلى مصر[12]. "

غير أننا نلاحظ في رواية المقريزي ذكر لوالي في برقة ولم نجد أن برقة كان يحكمها كما أسلفنا والي من الفاطميين في هذه الفترة , بل كانوا يحكمها زعماء من بني قرة . وهذا ينفي بشكل غير مباشر صحة هذا النص.

حاول الحاكم بأمر الله بعدها السيطرة على إقليم برقة وإخضاع بني قرة ولكن لانشغاله باضطرابات بلاد الشام عهد بولاية برقة إلى "باديس بن المنصور الصنهاجي" سنة 403 هـ / 1012م هدايا الذي قام بضمها إلى ولاية أفريقية الأمر الذي لم يطقه بني قرة والسبب في ذلك بأنهم لم يرضوا بحكم أمير بربري على برقة وهي منطقة بخلاف مناطق المغرب الأخرى تكتظ بالقبائل العربية التي تعد قبيلة بنى قرة من أكثرها عدداً وتشير الدلائل على أن الحكومة الصنهاجية لم تكن مسيطرة تمامًا على إقليم برقة وان هيبة القيروان لم تكن أكيدة هناك .ففي عام 405ه 1014-1015 -لم تتردد جماعات عرب برقة عن مهاجمة مركب يخص باديس مليء بالهدايا والثياب والخدم واستولت على جميع ما فيه وبذلك تكون قد أعلنت تحديها للحاكم باديس والخليفة الفاطمي على السواء.[13] وزاد بني قرة على ما فعلوا حيث زحفوا على مدينة برقة ففر واليها" حميد بن تموصلت" إلى أفريقية وتولى أمر برقة مختار بن قاسم القرى ورجعت بذلك برقة تحت سيادة بني قرة .وظلت الأحوال مضطربة في برقة حتى وفاة باديس بن منصور سنة 406هـ 1016م.[14]

استمر تحكم بني قرة في أمور ولاية برقة بقيادة شيخهم مختار بن القاسم الذى بدت برقة في عهده ملاذاً للفارين من تعقب الفاطميين في مصر أمثال الشريف الحسيني المتهم بتدبير

---

[10] ابن خلدون, العبر وديوان المبتدأ والخبر, ج6, ص37
[11] إحسان عباس(1976) تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي, بيروت, ص152
[12] المقريزي, تقي الدين احمد بن علي (1967) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء , تحقيق جمال الشيال، القاهرة , ج2,ص51.
[13] ابن عذاري البيان المغرب , . ج1,ص362
[14] المقريزي,اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الخلفاء , ج2,ص111


جامـعة بنــغازي
مجلة العلوم والدراسات الإنسانية – المرج
مجلة علمية الكترونية محكمة
رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014 ISSN : 2312 – 4962

اغتيال الحاكم بأمر الله الذي هرب نحو برقة [15] . وظل مختار بن القاسم المتصرف في شؤون برقة حتى سنة 420 هجري /1029م , ثم خلفه ماضي بن مقرب الذى ربما يكون قد نال هذه الزعامة برضى من الفاطميين لأنه كان قد قدم لهم خدماته التي سهلت القضاء على حركة أبي ركوة سالفة الذكر. [16] ولكن زعامته لم تدم طويلاً على بني قرة بما يضمروه من عداء وكره للفاطميين فانتقلت سريعاَ إلى يد جبارة بن مختار "الذي سرعان ما قطع تبعيته للفاطميين بعد أن سمع بخلع المعز بن باديس لطاعة الفاطميين وأرسل إلى المعز بن باديس بأفريقية بالسمع والطاعة واعلمه انه وأهل برقة قد أحرقوا رايات الفاطميين ولعنوهم على المنابر التي كانوا يخطبون عليها كما أنهم دعوا للخليفة العباسي القائم بأمر الله وذلك سنة 443 هجري / 1051م[17] وما كان من الخليفة الفاطمي إلا أن أطلق على برقة جحافل العرب الموجودين في صحراء مصر الشرقية من قبائل بني هلال وسليم ولم يأمرهم الخليفة الفاطمي بشيء" لعلمه أنهم لا يحتاجون وصية" [18] فزحفوا بفروعهم من زغبة ,رياح ,الاثبج, عدي حتى وصلوا برقة واستقروا فيها بعد أن وجودها مفتوحة أمامهم بعدما تحطمت زناته في الصراع المستمر ضد صنهاجة والفاطميين [19].

ولكن من وجهة نظرنا نرى أن هذه القطيعة المذهبية لم تكن السبب المباشر للسماح لبني هلال ومن معهم من العرب بالمسير إلى برقة وأفريقية وامتلاكها وللأسف فابن خلدون [20], وابن الأثير [21] قد كرروا هذا السبب وجعلوه أساسياً لهذه الهجرة , ولاسيما أن الدولة آنذاك كانت تحدق بها الأخطار الخارجية والداخلية المتمثلة في ظهور السلاجقة السنيين ومكائد الخلفاء العباسيين ,وارى انه من الأجدى أن نبحث عن أسباب أخرى لهذه الهجرة . ففي برقة مثلاً نجد خروج أهلها من بني قرة وزناتة عن طاعة الفاطميين بداية انضمامهما للي حركة أبي ركوة ومناصرتهم له [22], ثم نهبهم للهدايا الواصلة والمرسلة إلى الفاطميين التي تمر بأرض برقة [23] واحتجاجهم على أن تضاف برقة لأعمال المعز بن باديس الصنهاجي فزحفوا عليها مما اضطر واليها للفرار عبر البحر إلى أفريقية , كما أن برقة أصبحت ملاذً وملجأ للهاربين من ملاحقة الفاطميين في مصر , كما يعد العامل الاقتصادي من أهم عوامل ظهور هذا الحدث إذ إن فترة حكم المستنصر الفاطمي 487-227هـ، 1094-035م كانت في معظمها تتسم بالاضطرابات الاقتصادية والأوبئة [24] ولكي تتخلص الدولة الفاطمية من الأعباء المترتبة على إقامة هؤلاء البدو في مصر خاصة وأنهم كانوا مصدر قلق وفوضى دائمين، بسبب قلة المراعي بشرق النيل وشدة الجفاف . فقام الفاطميون بتحفيزهم على التوجه غربًا , [25] وقام المستنصر باقتطاع الأراضي في طرابلس وأفريقية لعدد من رجالاتهم حيث عقد لموسى بن يحي المرداسي على القيروان وباجة , ولحسن بن سرحان على قسنطينة , وولى بني زغبة على طرابلس وقابس[26] .

[15] المسبحي, تاريخ مصر ,القاهرة, دون تاريخ ,ج,10ص27
[16] ابن الأثير,الكامل في التاريخ ,ج,9ص201
[17] ابن عذاري البيان المغرب, ,ج,1ص416
[18]) ابن عذاري, المصدر نفسه , ص 417
[19] ابن الأثير,الكامل في التاريخ ج ,4ص,236-237
[20] ابن خلدون, العبر وديوان المبتدأ والخبر, ج,6ص26
[21] ابن الأثير ,الكامل في التاريخ ,ج,8ص55.
[22]) ابن الأثير, المصدر نفسه , ج,4 , ص189
[23]) المقريزي, اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الخلفاء,ج,2ص111
[24]) ابن ثغري بردي (1970) النجوم الزاهرة في صلى حضرة القاهرة, تحقيق حسين نصار ,مطبعة دار الكتاب , القاهرة,ج,5ص,5-1
[25] ابن ثغري بردي, المصدر نفسه, ص 1-5
[26] ابن ثغري بردي, المصدر نفسه, 79-80

جامــعة بنـــغازي
مجلة العلوم والدراسات الإنسانية – المرج
مجلة علمية الكترونية محكمة
رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014 ISSN : 2312 – 4962



وشهد إقليم برقة جراء هذه الهجرة بداية تقلص حكم الولاة منذ حركة أبي ركوة سنة 395هجري / 1004م , وظهور حكم أو هيمنة القبيلة , وقد تناوب بنو قرة مشيخة القبيلة حتى حدوث هجرة بني هلال ووصولهم إلى برقة , فاثر بنو قرة أن يهاجروا مع قومهم من بني هلال إلى أفريقية وكان ذلك بناء على الاتفاق الذي تم بين القبائل على أن تكون برقة وطرابلس لبني سليم وأفريقية لبني هلال فكان لزاما على بني قرة الرحيل إلى أفريقية.[27] ولم يشكل بني سليم كيانات سياسية في برقة لتمسكهم بطابعهم البدوي والرعوي , الذي ستكون له أثاره البعيدة على اقتصاد هذه البلاد ,ولكنهم هيمنوا على القبائل العربية التي سبقتهم إلى برقة منذ عصر الفتح وزادوا من تعميق العنصر العربي الموجود أصلاً والذي يتكون منه إقليم برقة اليوم [28] .

ودخل بنو قرة في حروب مع قبائل البربر -بهذا الإقليم – من لواتة ومزاته, ونرجح سبب هذه الحروب إلى الصراع على تملك الأراضي الزراعية والرعوية,غير أن أبي ركوة استطاع أن يوحد كل هذه القبائل مجتمعة مع بني قرة في ثورته ضد الفاطميين محاولاً تأسيس حكم مستقل,واستطاع تهديد الوجود الفاطمي في مصر,إلا أن حركته انتهت بالفشل بعد أن تخلى عنه أنصاره من بني قرة,وظل بنو قرة في إقليم برقة إلى أن غادروها مع إخوانهم بني هلال إلى أفريقية [29].

ويذهب بازامة [30] إلى القول بان بني قرة كانوا من المتغلبين على برقة ولم يلبث أن تغير الحال بعد قدوم بني سليم وبني هلال إلى الإقليم , وقد كانت برقة من نصيب بني سليم وذلك بالاتفاق مع بني هلال الذين واصلوا المسير غرباً إلى أفريقية.

كانت برقة من نصيب بني سليم – كما سبق وقد اشرنا – الذين استقروا بها وبسطوا نفوذهم على عرب الفتح والسكان المحليين , وتقاسموها فيما بينهم حسب توزيع أفخاذهم , إذ سكن البعض منهم في الأجزاء الغربية والجنوبية الغربية من إقليم برقة, فاستوطنت قبيلة بني هيب من بني سليم بالجزء الشرقي من إقليم برقة , وقد امتدت حدود إقامتها غربًا حتى بئر السدرة , بالقرب من مدينة سرت , وتفرع هؤلاء إلى عدة بطون , منهم بنو أحمد المنحدرون من بني شماخ أكثر بني هيب ثراءً لاستحواذهم على المناطق الخصبة من برقة مثل درنة وبرقة وطلميثه وأجدابية , كما جاورهم من الشرق أخوتهم من بني شمال وبني محارب وتولى رئاستهم بني عزاز.

وأما قبيلة لبيد بن سليم والتي تعد هذه القبيلة من أكبر بطون بني سليم, حيث تتفرع إلى أفخاذ كثيرة [31] ويبدو أنهم قد بلغوا شأناً كبيراً من النفوذ والقوة , إذ انضمت معهم وانصهرت عشائر عربية أخرى , مثل بنو دياب بن مالك بن سليم الذين استوطنوا الأجزاء الغربية من برقة، وبنو عوف بن سليم الذين سكنوا في أطراف مدينة سرت , وكذلك قبائل ناصرة وعميرة , وبني جعفر بن عمر وبنو غطفان ,ويرى القلقشندي [32] أن الموالك والنبلة والنوافل ما هم إلا بقايا قبيلة يمنية قديمة .

كما سكن بنو دياب في الأجزاء الغربية من برقة بجوار بئر السدرة بالقرب من سرت , وتفرعوا إلى فرعين هما, بنو سالم , وبنو سليم , حيث سكن بنو عوف على أطراف مدينة

---

[27]) ابن خلدون, العبر , ج,6 , ص42-41
[28] المقريزي المرجع السابق ,ج,2 , ص218
[29] ابن الأثير الكامل في التاريخ , ج,8 , ص104-101
[30] المصدر نفسه ,ج,6ص38-37
[31] بازامه, مصطفى(1972) تاريخ ليبيا في العصر الإسلامي ,مؤسسة ناصر للنشر , بنغازي , ج8, , ص77.
[32] ومناهم أفخاذها " أولاد حرام, أولاد سلام, البكاة ,البشرة, الجواشن,الحدادة,الحوتة,الدروع, الرقيعات,السوالم ,السبوت,الشراعية,العواكلة ,العلاونة ,الموالك,النبلة...الخ... " المقريزي,المرجع السابق , ص,72,71.

جامعة بنغازي
مجلة العلوم والدراسات الإنسانية – المرج
مجلة علمية الكترونية محكمة
رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014 ISSN : 2312 – 4962



سرت , وسكن بنو جعفر في برقة , وتفرعوا إلى عدة بطون , كان من أهمها ", المثاينة، والياسة ,عرعرة ,الفره, البداري وغيرهم "بالإضافة إلى بني هلال والذين استوطن البعض منهم" بقة "مثل بني قرة , وقد ارتحل اغلبهم مع إخوانهم بني هلال إلى أفريقية[33].

- أثر الهجرات العربية على السكان المحليين (البربر):

لقد ورد ذكر بعض القبائل البربرية عند ابن خلدون والتي تعد من أهمها قبيلة لواتة والتي تنحدر منها قبيلة مزاته وسدراته , وورد عنده أيضاً ذكرا لقبيلة زناتة وهوارة, وقد ذكر ابن خلدون أن قبيلة لواتة تعد من أقدم القبائل في إقليم برقة وقد شكلت هذه القبيلة في إقليم برقة أهم عناصر السكان حتى نهاية القرن الثالث الهجري ومثلت أكبر فروع البربر البتر فيها , واحتلت رقعة جغرافية واسعة, كما سيطرت على العديد من المناطق الرعوية , وامتدت حدود هذه القبيلة من الرمادة والعقبة حتى وادي مخيل وبنغازي, واجدابية التي تشكل أحد مواقع اللواتيين ,وأما قبيلة مزاته اللواتية فتمتد حدودها من سرت إلى ودان جنوباً وتاورغاء غربا ,وقد جاورتها قبيلة سدراته اللواتية [34] ، وكيف ان هده القبائل قد صارت وخاصة هوارة "في عداد عرب بني سليم بعد هجرة بني هلال , في اللغة والزي , وسكن الخيام وركوب الخيل وكسب الإبل وممارسة الحروب . وقد نسوا رطانة البربر واستبدلوها بفصاحة العرب فلا يكاد يفرق بينهم.[35]

وقد شهدت مواقع لواتة في إقليم برقة تحولاً كبيراً وواضحًا مع بدايات القرن الرابع الهجري,إذ نزح جزء كبير منهم من المدن إلى القرى [36], ولا يعلل ابن خلدون هنا عن سبب نزوح هذه القبيلة, إلا انه عند حديثه عن قبيلة زناتة ذكر أن انتقام المعز بن باديس من زناتة كان مروعاً إذ يقول ابن خلدون -عن ذلك من خلال حديثه عن وصول بني هلال إلى برقة - ..."فلما حلوا ارض برقة وجدوا بلاد كثيرة المرعى خالية من أهلها , لان زناتة كانوا أهلها فأبادهم المعز بن باديس. "كما أن دخول بني هلال قد أدى إلى هجرة البقية الباقية من قبيلة زناتة عن إقليم برقة[37] .

أما قبيلة هوارة فقد دخلت في مواجهات مسلحة ضد الفاطميين والصنهاجيين , الذين تعقبوهم بالقتل والتشريد فلجأوا أيضاً إلى زويلة , ويبدو أن نزوح هوارة إلى زويلة كان كبيراً مما جعل ابن خلدون يقول ... " برقة كانت داراً للواتة وهوارة , حيث كانت بها الأمصار المتبحرة , مثل برقة وزويلة . " وبداية من القرن الخامس الهجري امتدت حدودهم إلى مدينة ودان حيث كان يقطن بعضهم في المنازل بينما أقام بعضهم الأخر ببيوت الشعر[38] .

لقد كان لهذا النزوح بالتأكيد أسبابه , وربما يرجع نزوح اللواتيين نحو الجنوب بسب بما قام به الفاطميون عقب دخولهم برقة من مجازر وحشية ومصادرة لبربر لواتة وسلب لأموالهم , ومن المحتمل أن يكون نزوح جزء كبير منهم بسبب السياسة التي انتهجها الفاطميون في قمع حركات مناوئيهم في برقة , ولاسيما أن جزء من لواتة قد تضامن مع أبي ركوة في ثورته ضد الفاطميين ,حتى يكونوا بمنأى عن أيدي أعدائهم من أنصار الفاطميين كالكتاميين والصنهاجيين ,

[33] القلقشندي(1963) قلائد الجمان ,ط 1,القاهرة ,,ص.125.
[34] المقريزي ,المرجع ,السابق ,ص74.
[35] ابن خلدون, العبر, ج6, ص.192.
[36] ابن خلدون, المصدر نفسه ,,ج6 , ص.235.
[37] ابن خلون, المصدر نفسه ,,ج6 , ص 141
[38] ابن خلدون,,المصدر نفسه ,ج4 , ص131

فقد وصلوا في نزوحهم إلى مدينة زويلة التي أسس فيها بنو الخطاب أسرة حاكمة على المذهب الأباضي , كما نزح جزء منهم إلى مصر الغربية والفيوم وبلاد الصعيد [39] .

فأجدابية على حد قول المقدسي "كان فيها أحياء من البربر ,أما سرت فقد كان سكانها من البربر يتجولون في المراعي الواقعة بالقرب منها عند نزول الأمطار ويحترفون رعي الإبل والغنم [40] . وصفت مدينة برقة بأنها محاطة ببادية تسكنها طوائف من البربر ,غير أنهم نزحوا عن سواحلها إلى دواخلها وباديتها بداية من القرن الرابع الهجري,

أما فيما يخص القبائل الأخرى مثل قبيلة زناتة البربرية والتي تنحدر أصولها من قبيلة ضريسة البترية , وكانت قد أزرت هذه القبيلة ثورة بن مخلد بن كيداد ضد الفاطميين سنة 336هجري/947 م في نواحي أفريقية , وبالتالي فهي الأخرى قد تعرضت لسخط الفاطميين الذين أوصوا ولاتهم بتعقب زناتة ومزاته , كما أنهم شجعوا صنهاجة أعداء زناتة التقليديين في حروبهم ضد زناتة37) كما أيدت قبيلة زناتة ثورة أبي ركوة في برقة ضد الفاطميين , غير أن فشل ثورة أبي ركوة جعلهم عرضة لانتقام المعز بن باديس الذي حاربهم في إقليم طرابلس وتعقبهم في برقة عندما تولى أمرها بتكليف من الفاطميين منذ عام403 هـ/1012 م. [41]

وصل إلى برقة أيضاً قبيلة كتامة وجاءت بصحبة الفاطميين بعد فتحها سنة 301 هجري.ولما بذله الكتاميون من جهود في سبيل إقامة الدعوة الفاطمية في بلاد المغرب, فقد أسند أليهم الخلفاء الفاطميون العديد من الوظائف المهمة في دولتهم التي من بينها ولاية الولايات , وكان من ضمن الولايات برقة, والتي تعاقب على ولايتها عدد من الكتاميين مثل حباسة بن يوسف الكتامي , كما أن أبا القاسم بن المهدي جعل في برقة حامية كتامية , غير أن أهلها قاموا بقتل جميع أفرادها بمجرد سفر أبي القاسم وجيشه إلى أفريقية , وقد أسند الفاطميون ولاية برقة بعد ذلك إلى أبي مدين اللهيصي الذي قمع ثورة برقة بشدة, وظل على ولايتها حتى وفاته سنة 306هجري918 /م[42]

كما كان من نتائج هجرة بني هلال وبني سليم مزج بقية البربر لاسيما في برقة -لقربها من مواقع العرب في الشرق -في بوتقة القبائل العربية , إذ أن كثيرا منهم انتسبوا إلى أصول عربية , بعد أن اختلطوا بالعرب بالجوار والنسب وتلاشت الفوارق بينهم وانتحلوا عادات العرب التي كانت قريبة من عاداتهم كالكرم والنجدة وركوب الخيل ,

- الخاتمة :

وما سبق يعد جزء من خطة تعريب هذه المنطقة ولكن بطريقة التهجير القسري هذه المرة، حيث يتضح أن قبيلة لواتة كانت حتى نهاية القرن الثالث الهجري موزعة بشكل ملحوظ في اغلب نواحي برقة، ويقوم أفرادها برعي قطعانهم في المناطق الساحلية ، غير أن هذا الوضع لم يلبث أن تغير بعد قدوم الفاطميين إلى إقليم برقة ، حيث نكلوا بمعارضيهم بقوة ورافقتهم عناصر جديدة على المنطقة مثل قبيلة كتامة ، كما كان لانضمام لواتة إلى حركة أبي ركوة اثر كبير في نزوحهم من مناطق السلطة الفاطمية في الشمال إلى المناطق الجنوبية من برقة .

---

[39] (ابن خلدون, المصدر نفسه ,ج4, ص 134.
[40] المقدسي(1909) احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم,مطبعة بريل, ليدن, ,ص.224.
[41] ابن الأثير, المرجع السابق ,ج9 , ص198
[42] المصدر نفسه ,ج3,ص65

- المصادر والمراجع:

- المصادر:

(1) ابن الأثير، علي بنن محمد الشابي (1950) الكامل في التاريخ، ج9، دار صادر، بيروت .

(2) ابن ثغري بردي (1970) النجوم الزاهرة في صلى حضرة القاهرة، ج5، تحقيق حسين نصار، مطبعة دار الكتاب، القاهرة.

(3) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (1981) العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الفكر، ج6، بيروت.

(4) ابن عذاري، أبو عبد الله محمد المراكشي (1950) البيان المغرب، ج1، دار صادر، بيروت.

(5) التجاني (1918) رحلة التجاني، الدار العربية للكتب، تونس، 1918.

(6) القلقشندي (1963) قلائد الجمان، ط1 القاهرة.

(7) المقدسي (1909) احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ليدن، 1909 .

(8) المسبحي (دون تاريخ) تاريخ مصر، ج10، القاهرة.

(9) المقريزي، تقي الدين احمد بن علي (1967) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج2، تحقيق جمال الشيال، القاهرة.

(10) المقريزي، تقي الدين احمد بن علي (1957) إغاثة الأمة في كشف الغمة، مصطفى زيادة، القاهرة .

(11) يحي بن سعيد '(1908) تكملة تاريخ سعيد بن بطريق، بيروت.

(12) اليعقوبي، أحمد بن يعقوب (1960) معجم البلدان، دار الكتاب، بيروت .

- المراجع:

(1) إحسان عباس (1976) تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي، بيروت.

(2) بازامه، مصطفى (1972) تاريخ ليبيا في العصر الإسلامي، ج8، مؤسسة ناصر للنشر، بنغازي .